إهـــــداء

إلى شهداء ثورة ٢٥يناير

الذين بدمائهم وأرواحهم تذوقنا الحرية

فلهم المجد والتقدير.

«وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ»

صدق الله

العظيم

تمهيد

إن الموضوع محل الدراسة المتعلق بالصراعات المذهبية والاجتماعية في إقليم خراسان، قبل ولوجه كان لزاماً علينا أن نبرز أهمية هذا الإقليم ولاسيما مدى تأثيره الكبير بأحداثه السياسية والاجتماعية على أنحاء المشرق الإسلامي، بل إظهار العوامل الجغرافية له التي كانت إحدى العوامل المؤثرة في الأحوال السياسية والاجتماعية ؛ لذا فسوف نقوم بالتعريف الجغرافي لخراسان وأهميتها في المشرق الإسلامي أولاً، ثم إبرازها في موجز تاريخي في عهد السامانيين بداية فترة الدراسة.

أولا) عرض جغرافي عام لخراسان :

كلمة خراسان في الفارسية القديمة معناها " البلاد الشرقية" وكان هذا الاسم في أوائل القرون الوسطى يطلق بوجه عام على جميع الأقاليم الإسلامية في شرق المفازة الكبرى حتى حد جبال الهند [١]، أما ياقوت الحموي[٢] فقد اختلف في تسميتها بأنه عندما خرج خراسان وهيطل ابنا " عالم بن سام بن نوح" ببابل فنزل كل واحد في البلد المعروف بالهياطلة وهو ما وراء نهر جيحون، ونزل خراسان في هذه البلاد دون النهر فسميت كل بقعة بالذي نزلها، وقيل أن (خُر) أسم الشمس بالفارسية و(اسان) كأنه أصل الشيء ومكانه.

هذا من ناحية التسمية الحرفية إقليم خراسان ويبدو أن الغالب على معناها الشمس المشرقة[٣].

أما بالنسبة للمعنى الجغرافي لخراسان بلاد واسعة أول حدودها مما يلي العراق ازاذوار قصبة جوين وبيهق [*] وآخر حدودها مما يلي الهند

---

(١) لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة : بشير فرانسيس – كوركيس عواد، ط بغداد ١٩٥٤م، ص٤٢٣.

(٢) معجم البلدان، جـ٢، ط . دار بيروت، د.ت، ص٣٥٠

(٣) محمد حسن العمادى، خراسان في العصر الغزنوى، ط الأردن ١٩٩٧ م، ص١

* بيهق : هى بليدة بخراسان ينسب إليها الإمام أبو بكر أحمد البيهقى كان أوحد زمانه في الحديث والفقه وتصانيفه على المذهب الشافعى (القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد، ط بيروت، ص ٣٣٩)

طخارستان [*] وغزنة [*] وسجستان[*] وكرمان[*] ، وليس ذلك منها إنما هو أطراف حدودها وتشتمل علي أمهات البلاد نيسابور وهرات ومرو وبلخ وما يتخلل ذلك من المدن التي دون نهر جيحون ، وقد كانت بداية الفتح الإسلامي لهذه البلاد في عام ٣١هـ في خلافة عثمان بن عفان(٢٣-٣٤هـ/٦٤٣-٦٥٤م) بإمارة عبد الله بن عامر بن كريز[١].

تنقسم خراسان إلى أربعة أرباع، فالربع الأول إيرانشهر وهى نيسابور وقوهستان والطبسان وبوشنج وباذغيس وطوس، أما الربع الثاني مرو الشاهجان وسرخس ونسا وابيورد[*] ومرو الروذ والطالقان وخوارزم وآمل وهما على نهر جيحون[٢]، والربع الثالث فهو غربي النهر وبينه وبين النهر ثمانية فراسخ الفارياب والجوزجان وطخارستان العليا والباميان[٣].

الربع الرابع ما وراء النهر بخارى والشاش والصغد وأشروسنه وفرغانه

(*) طخارستان : يقال لها طخيرستان وهى ولاية واسعة كبيرة تشمل على حدة بلاد من نواحى خراسان وهى عليا وسفلى فالعليا شرقي بلخ وغربي نهر جيحون والسفلى غربي نهر جيحون وأكبر مدينة بها طالقان (البغدادي : مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة و البقاع، تحقيق:علي محمد البجاوي، ط دار الجيل . بيروت ١٩٩٢ م، ج٢، ص٨٨)

(*) غزنة : يطلق عليها غزنين ويعربونها فيقولون : جزنة ويقال لجمع بلادها زابلستان وغزنة قصبتها وهى مدينة عظيمة وولاية واسعة في طرف خراسان وهى الحد بين خراسان والهند (البغدادى، المصدر السابق ، ج٢، ص٩٩٣)

(*) سجستان : ناحية كبيرة واسعة تنسب الى "سجستان بن فارس" أرضها كلها سبخة رملة والرياح لا تسكن فيها أبداً، ومدينتها زرنج وبينها وبين هرات عشرة أيام (انظر: البغدادي، نفسه، ج١، ص٧٥) .

(*) كرمان : ناحية مشهورة، شرقها مكران وغربها فارس وشمالها خراسان وجنوبها بحر فارس وهى بلاد واسعة تنسب إلى كرمان بن فارس بن طهمورث، واسعة الخيرات (انظر: القزوينى : آثار البلاد، ص ٢٤٧).

(١) ياقوت الحموى، المصدر السابق، ص ٣٥٠ ؛ البغدادى : المصدر نفسه، ج١، ص٤٥٥

(*) ابيورد : مدينة بخراسان بقرب سرخس، بناها " باورد بن جودرز" إنها مدينة وبيئة ردئية الماء ينسب إليها الفضيل بن عياض الزاهد الشهير (انظر: القزوينى : نفسه، ص٢٨٩)

(٢) البلاذرى، فتوح البلدان، ط دار بيروت ١٤١٢هـ -١٩٩١م، ص٣٤

(٣) البغدادى، نفسه، ص٤٥٥

وسمرقند، والصحيح الأول وهذا قول البلاذرى (ت: ٢٧٩هـ/٨٩٢م) وإنما قاله لأن جميع ذلك كان أولاً مضموماً إلى والي خراسان[١].

هناك اختلاف كبير بين الجغرافيين حول تقسيم إقليم خراسان، فالبعض منهم يجعل تسمية الربع الأول بإيران شهر كالبلاذري وياقوت الحموي وابن فضلان[٢]، أما الآخرون كالمسعودي[٣] و الإصطخرى[٤] يطلقون على نيسابور وما حولها إبرشهر، ومن ناحية أخرى يرى المقدسي[٥] أن اسم إيرانشهر يطلق على كورة نيسابور فقط ولا يدخل في التسمية ما حولها من مدن مثل جابلستان وسجستان وما حولها، ويعضد هذا الرأي ابن حوقل[٦] في كتابة صورة الأرض قائلاً ونيسابور تعرف بابرشهر.

إذن فالغالب في تسمية نيسابور هو إبرشهر، لكن في التقسيم الجغرافي للمدن والولايات فقد ضم أحد المؤرخين : أقسام إقليم ما وراء النهر إلى خراسان مثل قدامة ابن جعفر[٧] حين قال أن ما وراء النهر بخارى وسمرقند وما حولها الربع الرابع في إقليم خراسان. يتبين من وصف ابن جعفر أنه خلط خلطاً شديداً بين كور خراسان وأعمال ما وراء النهر، فهذا الإقليم كان مضموماً إلى والى خراسان من الناحية الإدارية فقط منذ أيام الطاهريين الذين بدورهم ولوا أبناء سامان نواحي ما وراء النهر لكن جغرافياً كان وصفه غير دقيق ؛ لأن هناك نهراً فاصلاً هو جيحون.

على الجانب الآخر يرى لسترنج[٨] أن خراسان في مدلولها الواسع هذا

---

(٤) البغدادي، نفس المصدر، ص٤٥٦

(١) رسالة ابن فضلان، ط مكتبة الأسرة ٢٠٠٦ م، ص٢٢

(٢) التنبيه والإشراف، ط مكتبة الهلال – بيروت ١٩٩٣ م، ص٧٨

(٣) المسالك والممالك، تحقيق : محمد الحينى، ط القاهرة ١٣٨١هـ-١٩٦١م، ص٤٥

(٤) أحسن التقاسيم، ط بيروت، د.ت، ص٢٩٩

(٥) صورة الأرض، ط بغداد، د.ت، ص٣٦١

(٦) الخراج وصنعة الكتابة، تحقيق : محمد حسين الزبيدى، ط دار الرشيد العراق، ص ١٧٢

(٧) المرجع السابق، ص٤٢٣

كانت تضم كل بلاد ما وراء النهر وكانت حدودها الخارجية صحراء الصين والبامير من ناحية آسيا الوسطى وجبال هند كوش من ناحية الهند إلا أن حدودها هذه صارت بعد ذلك أكثر دقة وحصراً حتى ليمكن القول بأن خراسان لم يكن يمتد الى أبعد من نهر جيحون في الشمال الشرقي.

أما عن أرباع خراسان الرئيسية وهى نيسابور، مرو، بلخ، هرات، فالربع الأول نيسابور وهى تعرف بأبرشهر وليس بخراسان مدينة أصح هواء وأفسح فضاء وأشد عمارة من نيسابور ويرتفع عنها من أصناف الحرير وفاخر ثياب القطن ما ينقل إلى سائر بلدان العالم لكثرته وجودته[1]، ويقال أن أهلها أحسن الناس صورة وأكملهم عقلاً وأ[illegible] وأقومهم طبعاً[2].

وقد نقل أحد الباحثين[2] عن نيسابور تسمية دمشق الصغيرة لكثرة فواكهها وبساتينها ومياهها وحسنها، ويصفها القزويني (ت:٦٨٣هـ/١٢٨٤م) بعتبة الشرق وكان عمروبن الليث الصفار* يقول : أقاتل على بلدة حشيشها الريباس وترابها البقل وحجرها الفيروز[3]، وفيما يخص أهم مدنها كالبوزجان ومالن وازاذوار وأسفراين وإن جمع إلى نيسابور طوس[*] التي بها قبران شهيران الأول للإمام " على بن موسى الرضا" الإمام الثامن عند الإثنى عشرية وهو بظاهر مدينة نوقان والثاني هو قبر

---

(١) ابن حوقل، المصدر السابق، ص٣٦٣

(٢) عبد الرحمن بن سليمان المزيني، الحياة العلمية في القرنين السابع و الثامن الهجريين، ط. المدينة المنورة ٢٠٠٣م، ص٣٦

* عمرو بن الليث: هو شقيق يعقوب بن الليث، تولي حكم الدولة الصفارية بعد موت أخيه عام ٢٦٥هـ/٨٧٨م بعد أن اعترفت الخلافة العباسية بحكم الصفاريين لخراسان، وكان عمرو من قبل قد تولي لأخيه قيادة جيش الصفاريين في حروب يعقوب ضد الخوارج. (أنظر : مؤلف مجهول، تاريخ سيستان، صـ٢٠٣)

(٣) القزوينى، المصدر السابق، ص٤٧٣

(*) طوس : هي مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور عشرة فراسخ تشتمل على بلدتين احداهما الطابران والأخرى نوقان، وللبلدتين اكثر من ألف قرية . (انظر: أبي بكر بن هداية الله الحسيني المصنف، طبقات الشافعية، ط١ . المكتبة العربية- بغداد ١٣٥٦هـ)

الخليفة العباسي الخامس هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦-٨٠٨م) بقرية يقال لها سناباذ[١] وكانت دار الإمارة بخراسان وعاصمتها في بادئ الأمر بمرو إلى أيام الطاهرين الذين نقلوها إلي نيسابور[٢].

الربع الثاني وهو مدينة مرو تعرف بمرو الشاهجان قديمة البناء ويقال أن قهندزها من بناء طهمورث والمدينة القديمة من بناء ذى القرنين وهى في أرض مستوية بعيدة عن الجبال، فيها ثلاث مساجد ويقال أن أكبر مسجد بها والسوق ودار الإمارة من بناء أبي مسلم الخراساني، والبلد أرباع معروفة الحدود ولأرباعه أنهار معروفة وأشهرها نهر " هرمزفره" وهو نهر عليه أبنية كثيرة من البلد وهو مما يلي سرخس، وكانت مرو معسكر الإسلام ومنها استقامت مملكة فارس للمسلمين ؛ لأن يزدجرد الثالث " ملك الفرس قتل بها ومنها ظهرت دولة بني العباس وأشهر مدنها الداندانقان ومالن والسوسقان[٣]

الربع الثالث مدينة هرات بناؤها من طين والمدينة مقدار نصف فرسخ في مثله وكانت لمدينتها الداخلة أربعة أبواب هي باب سراى يخرج منه إلى بلخ والباب الثانى يخرج منه إلى نيسابور يسمى باب زياد وباب ثالث يخرج منه إلى سجستان يسمى فيروزآباذ، أما الرابع يخرج منه إلى الغور ويعرف بباب (خشك) وعلى كل باب سوق والجبل من هرات على فرسخين على طريق بلخ وبها عدة أنهار هامة مثل "بوخوى" و" بارست" ونهر"أذربيجان"، أما عن أهم مدن هرات فأكبرها بنواحيها "كروخ " و" أوفة" وكروخ مدينة قصدة وأهلها شراة من الخوارج وأوفة أهل سنة وجماعة ولها بساتين ومياه وبناؤها من طين ومدينة مالن واستربيان أهلها خوارج أيضاً[٤].

الربع الرابع مدينة بلخ وهى مدينة عظيمة من أمهات بلاد خراسان وهى

---

(٤) ابن حوقل، نفسه، ص٣٦٣

(٥) نفسه، نفس المصدر، ص٣٦٣

(١) ابن حوقل، المصدر السابق، ص٣٦٣

(٢) نفسه، نفسه،ص٣٦٤

قديمة أزلية بناها "منوجهر بن افريدون" [1]، وهى في مستواه وبينها وبين أقرب الجبال إليها نحو أربعة فراسخ وبناؤها من الطين ولها أبواب أِشهرها النوبهار وباب (واختـه) وباب الحديد وباب اليهود وبها مسجد جامع ونهر يسمى " دهاس" [2]، إلا أن شهرة بلخ بوجود أعظم بيت من بيوت النار يسمى النوبهار بما سمع ملوك ذلك الزمان بشرف الكعبة واحترام العرب إياها بنوا هذا البيت مضاهاة للكعبة وزينوه بالديباج والحرير والجواهر النفيسة وكانت سدانته للبرامكة[*][3].

وكان هذا موجزاً جغرافياً عن أرباع إقليم خراسان وأشهر مدنه، وتقسيمه أما بالنسبة للنظام الإداري، فكانت خراسان تحت يدي أصبهذ وأربعة مرازبة إلى كل مرزبان ربع[4]، غير أن اشتهار خراسان بوجود مناجم الذهب والفضة والرخام والزئبق جعلها أهم المصادر أو الثروات الاقتصادية في المشرق الإسلامي[5].

ثانيا) موجز تاريخى عن خراسان قبيل حكم السامانيين:

بعد هذا العرض الجغرافى كان من الضرورى إبراز جزء من تاريخ خراسان السياسي قبيل فترة حكم السامانيين – باعتبار فترة حكمهم هي بداية فترة الدراسة- أي منذ بداية الدويلات الشبه مستقلة في المشرق الإسلامي عامة وخراسان خاصة، وذلك العرض سيكون موجزاً من الناحية السياسية

---

(٣) القزوينى، نفسه، ص٣٣١

(٤) ابن حوقل، نفسه، ص٣٧٣

(*) البرامكة :هي أسرة من موالي قبيلة الأزد العربية تنتمي إلى برمك وهو لقب يطلق على أجدادها ويتوارثونه، اذ يعني رئيس سدنة معبد قرب بلخ عرف بالنوبهار، ويعد خالد بن برمك هو أول جد معروف لهذه الأسرة في الإسلام،وكان لهذه الأسرة تأثير كبير= =على مجرى الأحداث السياسية في العصر العباسي الأول . (انظر: اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ط. النجف ١٤١٢هـ/١٩٩٢م ،ج٢، ص٧٤٢ ؛ عبد المنعم ماجد: العصر العباسي الأول، ط . مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٣م، ج١، ص١٩٠)

(١) القزوينى، المصدر السابق، ص٣٣١

(٢) ابن خرداذبه، المسالك والممالك، ط ليدن ١٣٠٩هـ، ص١٨

(٣) مجلة (العلم)، العدد ٣٢٦ – نوفمبر ٢٠٠٣ م، ص٥٠

فقط لإبراز التناحر السياسي الذي كان قائماً آنذاك على الساحة وموقف الخلافة العباسية منه ؛ لذا نبدأ أولاً بالدولة الطاهرية وتأسيسها.

يرجع نسب الطاهريين إلى أن " الحسين بن مصعب" والد طاهر كان من وجهاء خراسان وسادتها وقد عاصر هارون الرشيد ويبدو أن الحسين كسب ثقة الخليفة مما دعا هارون إلى توليته بوشنج إحدى مدن خراسان واستمرت شهرة الحسين ذائعة في الفترة التي حكم المأمون فيها خراسان (١٩٣-١٩٨ه/ ٨٠٨-٨١٣مـ) [١]

وكان للحسين مواقف مع الفضل بن سهل وزير المأمون تعبر عن حكمته وسعة إدراكه، كموقفه من النزاع بين الأمين والمأمون وحث ابنه طاهر على ألا ينساق وراء الفضل بن سهل في إشعال الفتنة[٢].

أما جده مصعب بن رزيق أحد الذين شاركوا في الدعوة العباسية منذ بدايتها حوالي (١٠٠هـ/٧١٨م) عندما استعان به " سليمان بن كثير" كبير الدعاة في خراسان فجعل من مصعب كاتباً لرسائله[٣].

لكن طاهر بن الحسين مؤسس الدولة الطاهرية، فقد ولد في بوشنج سنة (١٥٩هـ/٧٧٥م) وهى إحدى مدن خراسان – تقع بين هرات وسرخس- إذ استقر فيها آباؤه وأجداده من قبل وتولوا نيابتها إذ تولاها طلحة بن زريق كنائب عن أبي مسلم الخراساني ثم استمر يحكمها بعد وفاته (١٢٦هـ/٧٥٤م) كما تولاها أيضاً الحسين بن مصعب والد طاهر كنائب عن المأمون إبان فترة وجوده بخراسان[٤].

وعن نسب آل طاهر تعددت الروايات بشأن هذا النسب، وبالطبع أرجع الفرس كعادتهم نسبهم الى سلالة ملوك الفرس الأسطوريين فهو عند بعضهم

---

(٤) الجهشيارى، الوزراء والكتاب، تحقيق : مصطفى السقا و إبراهيم الابيارى، ط١ القاهرة ١٣٥٧هـ -١٩٣٨ م، ص٢٩١.

(5) الجهشيارى، المصدر السابق، ص٢٩١ وما بعدها

(١) دائرة المعارف الإسلامية، النسخة العربية، المجلد ١٧، ط الشعب ١٩٣٢ م، ص١٣٤ (مادة : خراسان)

(2) فتحى أبو سيف، المشرق الاسلامى بين التبعية والاستقلال، ط القاهرة ١٩٧٨م، ص٧٢

يمت بالنسب لماى خسرو وعند البعض الآخر من سلالة منوجهر وكلاهما له مكانة أسطورية في تاريخ الفرس القديم[١].

ويعرف طاهر بذي اليمينيين، وهو لقب قد لُقب به أثناء خدمته للمأمون [٢]، واختلفت آراء المؤرخين في سبب تلقيبه بهذا اللقب وأغلب الظن أن هذا اللقب أطلق على طاهر للتعبير عن شجاعته في الحروب فهو لقب عسكري قديم أطلق من قبل على "عمير بن عبيد" وهو صاحبي استشهد في بدر ثم أطلق على "صخر بن عمر" شقيق الخنساء الشاعرة[٣].

وقد كانت حالة المشرق بعد عودة المأمون من بغداد هى التي دفعته لإسناد حكم خراسان إلى طاهر بن الحسين، فقد كان والى خراسان هو " غسان بن عباد" وكان ينتمي بالقرابة إلى الفضل بن سهل وزير المأمون وكان المأمون لا يثق فيه ولاسيما أن ظهرت منه بوادر الشقاق، فضلاً عن حركات العصيان التي خرجت على أرض المشرق وأولها حركة " بابك الخرمى" سنة ٢٠١هـ /٨١٦م بأذربيجان بالإضافة إلى ازدياد نشاط العلويين وأبرزها حركة حسين الكواكبي ٢٠٢هـ /٨١٧م بقزوين[*] [٤].

على أية حال فغالبية المؤرخين يعتبرون قيام الدولة الطاهرية يبدأ سنة ٢٠٥هـ/٨٢٠م، وتعددت الآراء الحديثة في قيام الدولة الطاهرية فهناك من ينظر لقيامها بعين الشعوبية ويعتبرها أول إمارة فارسية وأن طاهراً قد نقل

---

(3) فتحى أبو سيف، المرجع السابق، ص٦٧،٦٨

(٤) الجاحظ، رسائل الجاحظ (السياسية)، شرح : على أبو ملحم، ط دار بيروت د.ت، ص٥٠١

(5) فتحي أبو سيف، المرجع السابق، ص٧٥،٧٤

(*) قزوين : هي مدينة عليها حصن ولها مدينة داخلة، وهي ثغر الديلم . (انظر: الإصطخري، المسالك و الممالك، تحقيق: محمد جابر الحيني، ط. الجمهورية العربية المتحدة ١٣٨١هـ-١٩٦١م، ص١١٨)

(١) البغدادي، الفرق بين الفرق،تحقيق: محمد محي الدين ، ط. المدني-القاهرة، صـ ١٦١؛ نظام الملك : سياست نامه، ترجمة : السيد محمد العزاوي ، ط. دار الرائد العربي- بيروت د .ت ، ص ٢٣٧؛ فتحي أبو سيف، نفس المرجع، ص١٠٢؛ سعيد نفيسي: بابك خرم دين (ولاورآذربايجان)، ط. تهران١٣٣٣هـ. ش،ص١٥-١٦

السلطة إلى الفرس[1]، وينظر بعض المستشرقين إلى قيام هذه الدولة في بداية القرن الثالث الهجري على أنها بداية حكم الفرس[2].

واستمر طاهر في خراسان يحكم من مرو أقليم المشرق حتى٢٠٧هـ /٨٢٢م إلا أنه مات في هذه السنة وخلفه ابنه عبدالله بن طاهر على شرطة بغداد وابنه طلحة على خراسان وقد عمد المأمون بذلك للاحتفاظ بولاء الطاهريين ولاسيما هم حراس لأملاك العباسيين في المشرق[3].

وقد قالت بعض المصادر[4] باستقلال الطاهريين استقلالاً ذاتياً، إلا أنه من المرجح ليس استقلالاً ذاتياً لأنه لا يمكن لولاة أمر لنائبين عن الخلافة العباسية أن يستقلوا بنفسهم مهما كان قدرهم عند الخلافة، فقد كان الخليفة المأمون يعين من أسرة طاهر ولاة على شرطة بغداد وخراسان لكن دون استقلال كامل وإنما تسمى ولاية شبه مستقلة.

ويمكننا القول في تشبيه الطاهريين بأنهم كلاب حراسة للخلافة ضد أى ثورات مناوئة تهدف لأي إصلاح اجتماعي أو سياسي في المنطقة وخصوصاً الشيعة والمعتزلة، من أجل ذلك استمر التعاون وقوة الصلة بين الخلافة العباسية وخلفاء طاهر بن الحسين الذين تصدوا للحركات العلوية المناوئة كفتنة محمد القاسم العلوي بالطالقان[*] (١٩٠هـ/٨٠٥م) والحسن بن زيد بطبرستان (٢٥١هـ/٨٦٥م).

---

(٢) الطبري، تاريخ الأمم و الملوك ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط . دار المعارف – القاهرة١٩٦٠م ،ج٧، صـ ١٥٥ وما بعدها؛ فتحي أبو سيف، المرجع السابق، صـ ١٠٤

(٣) استانلى لين بول، طبقات سلاطين الاسلام، ترجمة : مكى طاهر، ط : القاهرة ١٩٨٦ م، ص١٢٠

(٤) فتحي أبو سيف، المرجع السابق، ص١٠٨

(٥) ابن كثير، البداية والنهاية، ط٢. دار الكتب العلمية-بيروت ١٤١٨هـ/١٩٩٧م ،ج١٠، صـ ٢٥٥؛ دائرة المعارف الإسلامية، النسخة العربية، المجلد ١٧، ط الشعب ١٩٣٢م، ص١٣٤

(*) الطالقان : هي مدينة أقرب إلى الديلم،والطالقان بلدتان احداهما بخراسان بين مرو الروذ وبلخ، والأخرى بلدة بين قزوين وأبهر، وبها عدة قرى يقع عليها هذا الاسم، وإليها ينسب "الصاحب بن عباد". (انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤،ص٦-٧)

وكانت الفترة التي شهدت سقوط الدولة الطاهرية هي نفس الفترة التي واكبت ضعف الخلفاء العباسيين، إذا كانت الظاهرة العامة هي سيطرة الأتراك على الخلافة منذ مقتل الخليفة المتوكل (٢٤٧هـ/٨٥٢م) فكان الخليفة في يدهم كالأسير إن أرادوا أبقوه وإن ارادوا خلعوه أو قتلوه[١].

أي أصبح تأييد الخلافة للطاهريين شكلياً فقط وليس فعلياً بعد أن كانت الاتصالات مستمرة بين نيسابور وبغداد ثم سامراء، فضلاً عن انقسام البيت الطاهرى على نفسه في عهد محمد بن طاهر آخر أمراء الطاهريين وأبناء عمه الذين وجهوا الدعوة صراحة إلى المغامر الصفاري السجستاني يعقوب بن الليث الصفار للاستيلاء على مدن خراسان وبالفعل قد دخل قصبتهم نيسابور سنة ٢٥٩هـ/٨٧٢مـ [٢].

وكانت نشأة يعقوب بن الليث فقيرة في قرية قرنين* بسجستان كان أبوه عاملاً بمهنة الصفار أي تبييض النحاس، فعمل بها يعقوب والتحق بالعيارين وقطاع الطرق إلى أن التحق بصالح بن النضر الكتاني [٣].

إلا أن بداية ظهور يعقوب بن الليث الصفار حين انضم إلى جيش صالح بن النضر في محاربة الخوارج وهم الشراة بسجستان، فلما مات صالح تولى مكانة " درهم بن الحسين" فصار يعقوب مع درهم كما كان مع صالح ثم ان صاحب خراسان الأمير الطاهرى قبض على درهم فحمل إلى بغداد وحبس بها وتولى يعقوب أمر المطوعة بعد درهم واستكمل حرب الخوارج[٤].

إلا أن هناك نصاً هاماً عن رسالة من زعيم العيارين يعقوب بن الليث

---

(1) ابن الطقطقى، الفخري في الآداب السلطانية، ط المعارف مصر ١٩٢٣م، ص٢٥٠

(٢) مؤلف مجهول، تاريخ سيستان، ط. تهران سال ١٣١٤هـ. ش، ص١٩٢ ؛ دائرة المعارف الإسلامية، مادة خراسان، ص١٣٥

* قرنين: هي إحدى مدن سجستان وهي مدينة صغيرة عليها حصن ومنها كانت بنو الصفار الذين غلبوا على فارس وخوزستان. (أنظر: المقدسي، أحسن التقاسيم، صـ٣٠٦)

(١) تاريخ سيستان، ص١٩٥ ؛ سربرسى سايكس : تاريخ إيران، ترجمة آقاى كيلانى، جلد دوم، جاب أول، ص ١٨

(٢) تاريخ سيستان، ص١٩٤ ؛ سربرسي سايكس : المرجع السابق ، ص١٨-١٩

الصفارى إلى زعيم الخوارج تفصح عن اتفاق الطرفين لحماية الرعية في الإقليم من جور العسكر الخلافي والتركي، كما تشير إلى أطماعها معاً في الاستيلاء على المناطق المجاورة وتأسيس دولة كبرى يسودها العدل والمساواة لكن طموحات يعقوب الصفار حفزته إلى حرب الخوارج وهزيمتهم لينفرد بالزعامة واستولى على كثير من المدن والأقاليم في بلاد المشرق[1] .

فضلاً عن هجومه على أملاك الطاهريين في هرات وقد حاول يعقوب استعطاف الخلافة فأقطعته ولاية كرمان ثم فارس وبلخ وطخارستان، وبعد سيطرة يعقوب على خراسان ذهب إلى أقليم طبرستان الذى به الحسن بن زيد الذي آوا ابن طاهر الطريد وقد استطاع هزيمة العلويين إلى أن اعترف به الخليفة والياً على خراسان وكرمان وفارس والسند وخوزستان إلا أن يعقوب قد صمم على اقتحام بغداد مقر الخلافة العباسية [2] ؛ لأنه لم يرض بما ضمه الخليفة المعتمد (٢٥٩-٢٧٩هـ/٨٧٢-٨٩٢م) إليه وأضمر في نفسه الاستيلاء على العراق وتأديب الخلافة فتحول عن سامراء إلى بغداد وجرت معركة عنيفة على إثرها هزم يعقوب وأصحابه وقد مات يعقوب في جنديسابور عام٢٦٥هـ/٨٧٨م [3]، وخلفه أخوه عمرو بن الليث فأقره الخليفة الموفق طلحة على ما تم فتحه من البلدان ليعقوب[4].

تلك صورة موجزة عن قيام وتطور الدولة الصفارية التي عبرت عن هموم الحرفيين بقيادة عامل النحاس يعقوب بن الليث ذلك الأمر الذى انطوى على قدر كبير

---

(٣) محمود اسماعيل، المهمشون في التاريخ الإسلامي، ط دار رؤية القاهرة ٢٠٠٤ م، ص١٦٩

(٤) الكرديزي، زين الأخبار، ترجمة : عفاف زيدان، ط١ . القاهرة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص١٣ ؛ كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة : نبيه أمين منير البعلبكى، ط٥ دار العلم للملايين بيروت ١٩٩٨ م، ص٢١٧

(١) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ط مكتبة القدس القاهرة ١٣٥٠هـ، ج٢، ص١٤٥،١٥٠ ؛ الذهبي : العبر في خبر من غبر، تحقيق : فؤاد سيد، ج٢، ط الكويت ١٩٦١، ص٢٤ ؛ تاريخ سيستان : ص٢٣٣

(٢) تاريخ سيستان، ص٢٣٤ ؛ كارل بروكلمان : المرجع السابق، ص٢١٨

من العدل والاستقرار وإقرار النظام الاقتصادي والاجتماعي الذي يتسق مع طموحات العامة والعناصر المهمشة وخاصة أهل المدن وأصحاب الحرف[1].

أما عن الدولة السامانية وهي بداية فترة الدراسة، فيكفي أن نشير إلى نشأتها وأهم أمرائها واستيلائها على خراسان من يد الصفاريين؛ ليبقى الحديث عن تلك الدولة تفصيلياً في الفصل الثاني لكن من الجانب المذهبي والاتجاهات الفكرية.

يرجع نسب السامانيين إلى القائد الفارسي المعروف "بهرام جوبين"* وهم أحفاد "سامان خدا" الذي أسلم في ولاية "أسد بن عبد الله القسرى" على خراسان في القرن الثاني الهجري عهد الأمويين، وقد سمى سامان هذا أول أبنائه أسد على اسم الوالي الأموي ورزق أسد بن سامان بأربعة أولاد (نوح – أحمد – يحيى – إلياس) وبعد رجوع الخليفة المأمون إلى بغداد أوصى إلى عامله على خراسان "غسان بن عباد" الاهتمام بأولاد أسد وتوليتهم على مدن إقليم ما وراء النهر نظراً لمعاونتهم للمأمون ضد "رافع بن هرثمة"، فحكم نوح بن أسد سمرقند، فرغانة لأحمد وهرات لإلياس والشاش ليحيى حتى جاء طاهر بن الحسين ليقر هؤلاء الأبناء على تلك الولايات بما وراء النهر[2].

حين مات نوح صارت سمرقند لأخيه أحمد بن سامان ليخلفه من بعده ثم ابنه نصر بن أحمد الذي كان متشككاً من تثبيت عرشه تلقاء ما أثاره الطاهريون من الاضطرابات (برغم أن سلطانهم كان في طريقه إلى الزوال) من ناحية وخروج يعقوب بن الليث بخراسان من ناحية لولا مساعدة أخيه الأصغر اسماعيل بن أحمد[3].

---

(٣) محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص١٧١

* بهرام جوبين: هو ملك فارسي تولي الحكم بعد أخيه هرمزد الأول خلفاً للملك الساساني سابور الأول وكانت فترة حكمه (٢٧٣-٢٧٦م). (أنظر: آرثر كريستنسن، إيران في عهد الساسانيين، صـ٢١٥)

(٤) عبد الله رازى، تاريخ كامل إيران، ط تهران (جاب جهارم)، ص١٧٤.

(١) ارمنيوس فامبرى، تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر، ترجمة : أحمد

فالأمير إسماعيل بن أحمد قد فرض سلطانه على بلاد ما وراء النهر عام ٢٧٩هـ/٨٩٢م) من خلال منشور الخليفة المعتضد العباسي(٢٧٩-٢٨٩هـ/٨٩٢-٩٠١م) فضلاً عن دعم الخليفة له في حربه ضد عمرو بن الليث الصفارى، وبالفعل هزمه إسماعيل بن أحمد بالقرب من بلخ وتم إرسال عمرو إلى بغداد مقر الخلافة[١].

أما عن سبب استيلاء السامانيين على خراسان ودخولهم اياها هو انتصار الأمير إسماعيل بن أحمد (٢٧٩ – ٢٩٥هـ/٨٩٢-٩٠٧م) على عمرو بن الليث الصفارى عام (٢٨٨هـ/٩٠٠م) حيث إن الخليفة المعتضد العباسي (٢٧٩-٢٨٩هـ/٨٩٢-٩٠١م) قد ولى عمرو بن الليث الصفاري على خراسان وأمره بحرب رافع بن هرثمة – الذي أظهر العصيان ضد الخلافة – وبالفعل انتصر عليه عمرو وبعث برأسه إلى بغداد، إلى أن جاء عمرو بن الليث طامعاً في إقليم ما وراء النهر فبعث إليه إسماعيل بن أحمد رسالة فحواها بأن يقنع بما لديه لاسيما أن الخليفة ضم ولاية الرى إلى عمرو بن الليث ٢٨٤هـ/٨٩٧م إلى جانب ولايته على خراسان، فبعث إليه الأمير إسماعيل بن أحمد جيشاً فهزمه وأرسل المعتضد منشوراً بولاية إسماعيل بن أحمد على خراسان وبالتالى فرض نفوذه على بلاد ما وراء النهر وخراسان[٢].

صفوة القول أن هذا الموجز التاريخي عن خراسان من الناحية السياسية كان لابد منه قبل ولوج الموضوع ذاته بما له تأثير بجانب النواحي الاجتماعية والمذهبية، فضلاً عن دخول السامانيين خراسان وبداية فترة الدراسة منذ عصرهم حتى ظهور السلاجقة الأتراك.

الساداتى، ط مكتبة النهضة ١٩٨٧م، ص٩٤

(٢) النرشخي، تاريخ بخارى، صـ١٢١؛ تاريخ سيستان، صـ٢٥٦؛ حسين علي ممتحن، راز بقاى تمدن وفرهنكك إيران (جند مقاله تاريخه) ط دانشكاه ٢٥٣٥ شاهنشاه، ص١٦٦

(٣) رزق الله منقريوس الصرفى، تاريخ دول الإسلام، ط١ القاهرة ١٩٨٦م، ج١، ص٢٧٢

مقدمة

مما لا شك فيه أن دراسة أحوال المجتمع ساهمت بشكل كبير في كشف النقاب عن أمور كثيرة تكاد تكون غير واضحة أو ربما – لعدة أسباب – تدخل في إطار المسكوت عنه، لقد أسهمت دراسات عديدة في مجال التاريخ الإسلامي وخصوصاً المشرق الإسلامي في الكشف عن أحوال المجتمع وما نتج عنها من متغيرات سياسية أو اقتصادية بل إن المصادر التاريخية العربية و الفارسية قد أسهمت بدور كبير في معرفتنا بأحوال المجتمعات السابقة ، لكنني أتوقف أمام شق آخر أعتبره من وجهة نظري ناتجاً عن متغيرات اجتماعية ألا وهو الناحية المذهبية التي كان لها أثر كبير في تقدم وتأخر المنحنى الحضاري على مر التاريخ الإسلامي، ومن هذا المنطلق كان اختياري لموضوع "الصراعات المذهبية والاجتماعية في خراسان من بداية الحكم السامانى إلى ظهور السلاجقة " (٢٦١-٤٢٩هـ / ٨٧٤-١٠٣٧م).

فقد كان باعثي على اختيار ذلك الموضوع هو أنه مثار جدل شديد في المصادر التاريخية والمراجع سواء أكانت عربية أم غير عربية ، قديمة أم حديثة ، حيث أن كثير جداً من المصادر التاريخية الإسلامية أفردت العديد من صفحاتها عن الفرق والمذاهب والنزاعات الطائفية ، إلا أنني رأيت أن أجمع تلك المادة المتناثرة في المصادر للخروج بموضوع جدير بالدراسة والبحث بوجهة نظر ومنهج غير معتمد على الوصف والسرد ، لاسيما أن عوامل العصبية المذهبية للمؤرخين لعبت دوراً أساسياً في التأثير على كتاباتهم بل إن الأساس الطبقي والأصول الاجتماعية لها تأثير كبير على آرائهم وأفكارهم ، فمثلاً رأينا أن مؤرخي الفرق السنيين قد وصفوا الشيعة والمعتزلة بأفظع الصفات لدرجة وصلت إلى تكفيرهم واتهامهم بالإلحاد، كذلك الشيعة دافعوا عن معتقداتهم ضد السنة ويرون أنهم الصواب ، ومن ناحية أخري نري المؤرخين والفقهاء الممائلين للسلطة يصفون ثورات العوام والمهمشين بأنها خروج علي السلطان الذي يمثل الزعامة الدينية والروحية ومن ثم خروج

علي الدين وتعاليم القرآن والسنة فضلاً عن وصفهم بالسوقة والأراذل والغوغاء ويجب قمعهم ، وهكذا من تفسيرات شعوبية مبنية على سخائم العصبية المذهبية ، لكننا رأينا أن نتبع المنهج المادي الجدلي التاريخي معتمداً علي رصد دقيق للبنية الطبقية للمجتمع في خراسان ؛ لكي يفسر لنا الصراعات المذهبية ؛ لذا فقد آثرت أن أبدأ البحث بالصراعات الاجتماعية كوسيلة للكشف عن بواطن الصراع المذهبي، ومن ثم رأينا أن نميط اللثام عن تلك المعلومات معولين على هذا المنهج الاستقرائى التحليلي.

أما عن أسباب اختيار فترة الدراسة من بداية الحكم السامانى إلى ظهور السلاجقة ، لما تمثله هذه الفترة من أحداث كثيرة وخطيرة سواء على الصعيد السياسي أو الاجتماعي أو الاقتصادي أو المذهبي ، فقد كانت تلك الحقبة الزمنية التي تقترب من المائة والسبعين عاماً مليئة بالفتن والصراعات التي أثرت على العالم الإسلامي بأسره في تلك الفترة ، لاسيما أن وُجِدَتْ لأول مرة ثلاث خلافات تحكم العالم الإسلامي وهم الخلافة العباسية السنية والأخرى الفاطمية الشيعية الإسماعيلية ، والخلافة الأموية بالأندلس مما أسفر عن إشعال الصراع السياسي ، وقد قسمنا تلك الفترة إلى ثلاث : فترة السامانيين وفترة الغزنويين وفترة السلاجقة أى دراسة الأحوال الاجتماعية والمذهبية في عهود الثلاث دويلات ، وخصوصاً أنها ثلاث فترات محورية أسهمت في تغيير وجهة و خارطة المشرق الإسلامي بل العالم الإسلامي، فالدولة السامانية هي دولة حارسة لأملاك الخلافة العباسية في ما وراء النهر وخراسان منذ أن تم إرسال منشور الخليفة العباسي المعتمد(٢٥٩-٢٧٩هـ/٨٦٩-٨٩٢م) إلى الأمير إسماعيل بن أحمد بتوليته على ما وراء النهر، وكذلك منشور الخليفة المكتفي عام (٢٩٥هـ /٩٠٧م) إلى الأمير أحمد بن إسماعيل (٢٩٥-٣٠١هـ/٩٠٧-٩١٣م) بتوليته على خراسان بجانب ما وراء النهر ، وقد كان ذلك متزامناً مع وجود كيان شيعي زيدي كبير بطبرستان وجرجان وهو الدولة الزيدية ، مما أضفى سخونة على الصراع

المذهبي ، مروراً بالعهد الغزنوى وهو نقطة تحول خصوصاً في صراع السنة ضد الشيعة والمعتزلة والقرامطة لكنه في ظاهره متخذاً صبغة مذهبية لكنه ينطوي على حقيقة اجتماعية – اقتصادية- سياسية بعد وصول السلطان محمود الغزنوي إلى سدة الحكم آخذاً على عاتقه قتل وصلب كل ما هو معارض للسلطة الغزنوية والخلافة العباسية مدعياً أنه حامى الدين والمدافع عن السنة ، مستخدماً فقهاء السنة كأداة من أدوات القمع حيث يفتون ويناظرون لقتل المعارضين وذلك في مقابل الإنعامات والإقطاعات والأراضي التي حازوها أي وجدت شريحة الفقهاء الملاك للأراضي ، وأخيراً الدولة السلجوقية التركية البدوية المتعصبة التي كرست الفكر الأشعري الذي تمثل في نظاميات بغداد وخراسان بعد وصول الداهية السياسية نظام الملك والذي جعل المذهب الأشعري أيديولوجية وغطاء فكرى للنظام الإقطاعي العسكري الذي وصل إلى صورته الشاملة والمتكاملة في أواخر القرن الرابع الهجري و أوائل القرن الخامس.

وعن اختيار خراسان كإقليم فهي موئل أي حدث هام وخطير منذ انطلاق الدعوة العباسية منها عام ١٠٠هـ/٧١٧م ، فكل حدث سياسي أو اجتماعي أو مذهبي يجب أن تكون خراسان هي مسرح الأحداث لما لها من أهمية جغرافية وأيضاً توالى الدويلات عليها منذ ظهور أول هذه الدويلات وهى الدولة الطاهرية فكانت خراسان هي مقر حكمهم ، وقد عرفنا بأهمية خراسان في التمهيد.

لعل هذا البحث أن يكون محاولة جادة في حقل الدراسات التاريخية المتخصصة في المشرق الإسلامي لإبراز تأثير الصراعات المذهبية والطائفية على العالم الإسلامي من حيث تقدمه أو تأخره من نواحٍ عديدة ، ولعل الناحية الفكرية كانت هي محور اهتمامي؛ لأن الصراعات المذهبية قد اتخذت منحنى تصاعدياً خصوصاً منذ تولى الخليفة المتوكل العباسي الخلافة (٢٣٢-٢٤٧هـ/٨٤٦-٨٦١م) الذي يعد عصره بداية للقمع الفكري والإرهاب

لكل المذاهب العقلانية والتيارات الفلسفية ، هذا فضلاً عن سيطرة الأتراك على الخلفاء وعلى موارد الدولة ، الأمر الذي أدى إلى فوضى سياسية بجانب الفوضى الاجتماعية العارمة، وأصبحت مهمة الخليفة إشباع نهم الأمراء الأتراك من إقطاعات وأموال، وبناءً عليه هبت ثورات وتمردات عديدة للوقوف ضد الجور والظلم ليس ضد الخلافة العباسية فحسب بل ضد حراسها في المشرق أيضاً أي الدويلات السنية السامانية والغزنوية والسلجوقية، وهى ثورات انطوت على بعد اجتماعي خالص، حيث من الملاحظ أن معظم الثورات التي ضمت شرائح طبقة العامة من فلاحين وعمال وصغار الحرفيين كانت تتخذ صبغة مذهبية لتثور على الوضعية القائمة، فمثلاً الثورات التي قام بها الشيعة في طبرستان وهم شيعة زيدية ضمت الفلاحين المطالبين بحقهم في الأراضى التي أقطعها الخليفة المستعين بالله العباسي (٢٤٨-٢٥٢هـ/٨٦٢-٨٦٦م) إلى محمد بن عبد الله بن طاهر مكافأة له بعد القضاء على" يحيى بن عمر العلوي" الذي خرج على الخلافة، وهنا ثار العوام من الشعب للمطالبة بحقوقهم ، فانضموا إلى الحسن بن زيد متخذين من التشيع أيديولوجية ثورية، وهذا يشير إلى أنه في تاريخ الشيعة دائماً نراهم يتبنون قضية العدل الاجتماعي.

وقد نجح الشيعة في إرهاب الخلافة العباسية لدرجة نجاح الشيعة الزيدية في تأسيس دولة في عقر دار الخلافة ببغداد هي الدولة البويهية عام ٣٣٤هـ/٩٤٥م ، وهذا ينم عن الدور الكبير للطبقة البورجوازية التي انتفضت في صحوة جعلتها تحرز تقدماً كبيراً على المستوى الفكري الذي تمثل في علماء وفلاسفة الفكر الشيعي مثل الصاحب بن عباد وابن العميد وابن سينا الذي أخذ قدراً كبيراً من الحرية في بلاط البويهين ، ونجحوا في إضعاف الإقطاع العسكري وليس القضاء عليه. وأيضاً الشيعة الإسماعيلية التي تمثلت في وجود الكيان الكبير وهو الخلافة الفاطمية التي بثت دعاتها في كل مكان بالمشرق والمغرب ، وخصوصاً بخراسان حيث قاموا بأنشطة قوية

وتنظيمات وخلايا سرية تراوح مدها وجذرها حسب قوة قمع السلطة السنية الموجودة ، بالإضافة إلى القرامطة الذين أرسوا مبادئ الحرية والعدل والمساواة حينما نجحوا في تأسيس دولة كبيرة بالأحساء والبحرين ، وأنشطة سرية بخراسان تعمل على قيادة ثورات العامة في مواجهة السلطات السنية.

فكل هذا يعكس مدى تأثر الفكر بالواقع الاجتماعي؛ لذلك فإن أفكار وفقه المذاهب الشيعية انطوت على أحداث هذا الواقع.

ولا ننسى المعتزلة تلك الفرقة السياسية الفكرية التنويرية الحرة التي كان لها الدور الأكبر في إثراء الحضارة الإسلامية اعتماداً على الفلسفة اليونانية في تفسير النصوص وجعلها مرنة تقبل النقاش بدلاً من الاتجاه النصي النقلي الغيبي ، ولاسيما أنها منذ عصر الخليفة المأمون (١٩٨- ٢١٨هـ /٨١٣-٨٣٣م) ساهمت في نقلة هامة من خلال ترجمة التراث الهيللينى وصبغه بصبغه تتفق مع القرآن والسنة ، ومن ثم كانت المعتزلة بمثابة خلفية فكرية للشيعة حيث اتخذوا منها مشاعل الثورة ضد السلطات الإقطاعية الجائرة ، إلا أن الحال لم يدم طويلاً فمنذ أواخر القرن الرابع الهجري فصاعداً قد خبأ نجم المعتزلة نظراً لضراوة النظام التركي العسكري المتمثل في الغزنويين والسلاجقة الذين استطاعوا قمع أي فكر فلسفي موجود ، وقد كان هذا قميناً بأن تمر الفلسفة الإسلامية بأزمة حقيقية لكن لم تستطع الأزمة أن تعصف بها ؛ نظراً لأن الفلاسفة والعلماء المستنيرين قد وجدوا حريتهم في بلاط الدول الشيعية الذين كانوا بمثابة الرعاة للعلم والعلماء مثل ابن سينا(ت : ٤٢٩هـ/١٠٣٧م) الذي هرب من بلاط محمود الغزنوي إلى بلاط علاء الدولة بن كاكويه الديلمي (٣٩٩-٤٣٣هـ/١٠٠٨-١٠٤١م) ، ومن ثم أبدع الفلاسفة في نشر كتاباتهم.

ولم يكن الصراع المذهبي قاصراً على المذاهب المختلفة مثل الصراع بين السنة والشيعة فقط بل إن المصادر التاريخية قد أثبتت صراعات (سنية – سنية) تجلت بين الحنفية والشافعية والتي اتخذت صوراً عنيفة وصلت لحد

التراشق والقتال بين الطرفين ، ووصلت ذروتها في عهد السلاجقة عندما سمح الوزير عميد الملك الكندري (ت: ٤٥٦هـ/١٠٦٣م) بلعن الأشاعرة الشافعية على المنابر في عهد السلطان طغرل بك (٤٣٣-٤٥٥هـ/١٠٤١-١٠٦٣م)، الأمر الذي انتهى بمحنة كبيرة للشافعية إلى أن جاء نظام الملك (ت:٤٨٥هـ/١٠٩٢م) وعضد المذهب الأشعري الشافعي وكرس له المدارس النظامية لتدريسه بالمشرق الإسلامي ، وأيضاً وجد صراع بين فقهاء السنة والكرامية* في عهد محمود الغزنوي (٣٨٩-٤٢١هـ/٩٩٨-١٠٣٠م) وهي فرقة تضم شرائح الفلاحين والعمال من طبقة العوام وقد وضحنا داخل البحث أن الصراع كان طبقياً من الدرجة الأولى وإن اتخذ لباساً مذهبياً ، كذلك صراع فقهاء السنة ضد الصوفية والمتصوفين لاسيما أن الصوفية قد مرت بمنعرج هام في التاريخ الإسلامي من مرحلة الزهد والتنوير الذي أدى أحياناً إلى التثوير– الحلاج أنموذجاً – إلى مرحلة التواكل والانسحاب والتهويمية لدرجة إسقاط الفرائض بدعوى أن الله قد رفع وأسقط عنهم ذلك ؛ لأنهم اتحدوا مع الله وأصبحوا روحاً واحدة ، فكان هذا داعياً إلى إفراط السلطات الحاكمة في إنشاء التكايا والزوايا والخانقاوات وشتى العمائر الدينية لإلهاء الناس في التبرك بالشيوخ المتصوفة والبعد عن السياسة والثورات ، وذلك لإفتقاد السلطة الحاكمة للمشروعية والتأييد الجماهيري فوجهت نشاطها الى تأييد ورعاية الصوفية ، كما هو في العهود الثلاث السامانية والغزنوية والسلجوقية ، وهنا أصبح الدين ضروري للحكومة لا لخدمة الفضيلة ولكن لتمكين الحكومة من السيطرة على الناس ؛ لأنه بالفعل أصبح الدين هو المخدر للشعوب والوتر الحساس الذي ضغطت عليه الحكومات والسلطات على مر التاريخ.

بناء على ما سبق كان لزاماً علينا أن نجمع تلك المادة العلمية المبعثرة في ثنايا المصادر والمراجع التاريخية لكتابة الموضوع ، إلا أنها كانت هي

* الكرامية : سيأتي التعريف بها لاحقاً في الفصل الثاني، ص١١١.

الصعوبة التي واجهتني ، نعم فكثرة المادة العلمية كانت أهم الصعوبات نظراً لأنها تحتاج إلى سيطرة من الباحث والإلمام بها وتوظيفها في المكان المناسب ومحاولة اتباع المنهج السليم في كتاباتها ، والحذر منها أيضاً لاسيما أن لكل مؤرخ مذهباً معيناً يتبعه ، فهذا سني يدافع عن عقيدته والآخر شيعي يدافع عن معتقداته بل إن هذا حنفي وذاك شافعي ومن ثم كانت الصعوبة في كتابة الموضوع والتمكن من ناصية المادة العلمية الغزيرة المتناثرة ؛ لذا فقد قسمت البحث إلى تمهيد ويتناول التعريف بولاية خراسان وأهميتها بالمشرق الإسلامي من حيث الوصف الجغرافي العام لخراسان ، وموجز تاريخي عام عن خراسان في العصر السامانى ، أما الفصل الأول فيتناول الحديث عن الحياة الاجتماعية في خراسان وعوامل الصراع الطبقي وفيه أتحدث عن الخلفية الاجتماعية العامة في العصر العباسي الثاني ، عناصر السكان ، طبقات المجتمع ، الإقطاع وقوى الإنتاج . ويتناول الفصل الثاني الخريطة المذهبية و تقسيماتها في خراسان ويتحدث عن التوزيع الجغرافي للفرق والمذاهب المختلفة وأيضاً تاريخ انتشارها في مدن إقليم خراسان وهم أهل السنة والجماعة ، الخوارج ، الشيعة ، المعتزلة ، الكرامية ، الصوفية . و أما الفصل الثالث يتحدث عن الصراعات المذهبية مع بداية الحكم السامانى من الاتجاهات المذهبية والفكرية قبيل مجيء السامانيين ، وعن اتجاه السامانيين المذهبي ، وموقف السامانيين من المذاهب السنية الأخرى ، وموقفهم من الفرق المعارضة مثل الشيعة والخوارج . وقد تحدث الفصل الرابع عن ظهور قوة الغزنويين في المشرق الإسلامي لما له من أثر جلي وواضح على الصراعات المذهبية والسياسية ، وأهم أحداثه نشأة الغزنويين واتجاههم المذهبي ، أثر وصول السلطان محمود الغزنوي لسدة الحكم على الصراع المذهبي ، وأيضاً موقف السلطة الغزنوية من المذاهب السنية الأخرى ، السلطة الغزنوية والمعارضين، الكرامية ودورها في الحياة السياسية ، وأخيراً موقف السلطة الغزنوية من الصوفية. هذا بالإضافة إلى الفصل الخامس

الذي ذهب إلى الحديث عن تحول الصراع المذهبي من صراع السلطة ضد الأفراد إلى صراع كيانات سياسية كبرى ، وأهم أحداثها ظهور الزيديين وإشعال الصراع المذهبي ، الصراع الزيدي-السامانى، البويهيون وازدياد قوة الكيان الشيعي، التقارب القرمطي – البويهي . والفصل السادس قد تحدث عن المرحلة الأخيرة في الصراع المذهبي خلال فترة محل الدراسة وهي ظهور السلاجقة الأتراك ومواصلة الصراع المذهبي وتناولت الإتجاه المذهبي للسلاجقة ، موقف السلاجقة من الشافعية والأشعرية ، وأيضاً موقف السلطة السلجوقية من المعارضة ، والدور السياسي و الاجتماعي للمتصوفة .
وأخيراً بعد أن تناولنا في الفصول السابقة الحديث عن الصراعات المذهبية والاجتماعية وأهم أسبابها ، جاء الفصل السابع كختام للفصول السابقة وأعتبره نتيجة لها ألا وهو أثر الخلافات المذهبية على الفكر الإسلامي فهل تأثر الفكر الإسلامي بتلك الخلافات أم لا ؟، وما هو منحنى التقدم الفكري للحضارة الإسلامية ؟ وأهم نقاطه دور المدارس في نشر و ترويج الفكر الإسلامي ، دور بلاط السلاطين والأمراء في احتضان العلوم والفنون ثم الحديث عن صمود الفلسفة الإسلامية بالرغم من محاولة قمعها.

وبعد فإني أتمنى أن أكون قد أعطيت هذا البحث حقه في الدراسة وإنما نعلم أن الكمال لله وحده ، لاسيما أننا سنظل نتعلم ونستفيد من عملنا وأعمال غيرنا ، كما أرجو أن أكون أسهمت بهذا البحث في إثراء حقل التاريخ بموضوع جديد في تناوله وجدير بالدراسة ، وأن أكون قد وفقت في تحليل الموضوع وإبرازه بشكل يتناسب مع أهميته .

وإني لا يسعني في ختام هذه المقدمة إلا أن أتوجه بالشكر والتقدير إلى أساتذتي الأستاذ الدكتور/ فتحي أبو سيف القدير أستاذ المشرق الإسلامي بكلية الآداب (قسم التاريخ) بجامعة عين شمس الذي تعلمت منه الكثير ، فضلاً عن مساهمته الفعالة بالمصادر والمراجع اللازمة التي ساعدتني كثيراً في كتابة الموضوع ، فأسأل الله أن يطيل عمر أستاذي لكي يستمر معلماً فاضلاً

تستفيد منه الأجيال ، ولا يمكنني أبداً أن أنسى فضل أستاذين عالمين كبيرين في التاريخ الإسلامي هما الأستاذ الدكتور/ محمود إسماعيل أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية بكلية الآداب جامعة عين شمس الذي أفادني كثيراً في بحثي ووجه لي بعض الإرشادات المفيدة فأتوجه إليه بالشكر، والأستاذ الدكتور/ عصام الدين عبد الرءوف الفقي أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة القاهرة رحمة الله عليه فكان من ضمن الذين ساعدوني وأفادوني ببعض النقاط في هذا البحث ظهرت بجلاء أثناء الكتابة ، فجزاه الله عنى خير الجزاء.